اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).

الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD

عنوان الدرس08: الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب، خصائصها، وأهم روادها.

مراحل الدرس:

تمهيد:

تعريف الرسالة: لغة.

تعريف الرسالة: اصطلاحًا.

أ–الرسائل الديوانية.

أهم موضوعاتها.

ب–الرسائل الإخوانية.

الرسائل الإخوانية في العصر العباسي.

شواهد على الرسائل الإخوانية.

رسالة يحيى البرمكي إلى هارون.

من رسائل الاعتذار.

ملخص المحاضرة:

إذا كانت الرسائل الديوانية ـ التي يسميها بعضهم بالرسائل السياسية أو السلطانية أو الرسمية. تعالج شؤون الإدارة، فإن الرسائل الإخوانية تصور عواطف الناس ومشاعرهم في الخوف والرجاء والرهبة والمديح والهجاء والتهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية.

المحاضرة 08: الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب.

تَطوّر النّثر في العصر العبّاسيّ تطورًا ملحوظًا، وبلغ ذروته في فترة قصيرة، كما هو حال الشّعر وكان مصدره العراق، ومن الملاحظ أنّ تطور الحياة في العصر العبّاسيّ، قاد إلى عدم مركزيّة الثّقافة في الدّولة، وقد واصل عبد الحميد الكاتب إبداعه النّثريّ، وإلى جانبه ابن المقفع الفارسيّ الأصل، والذي فاق عبد الحميد في سعة ثقافته وكثرة إنتاجه وإيجاز أسلوبه، وكان أقرب إلى القصد في بديعه، من أعماله كليلة ودمنة وأعمالًا أخرى منقولة عن الثّقافة السّاسانيّة، حاول من خلال هذه الأعمال نقد عيوب المجتمع، والوصول به إلى الكمال، وقد اتّسعت فنون النّثر، فكان منها: الخطابة والقصص والتّوقيعات والمناظرات والرّسائل التي تنقسم إلى عدّة أقسام: الدّيوانيّة والإخوانيّة والأدبيّة.

تعريف الرسالة: أ- لغة: اشتق لفظ رسالة من المادة اللغوية (رَسَلَ) التي تدل على معان حسية كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية الحديث عنها ، وهي : " القطيع من كل شيء"، أو " القطيع من الإبل والغنم " ، أو " الإبل .. قطيع بعد قطيع" .

ثم انتقل مفهوم لفظة رسالة من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي، فقد ذكر ابن منظور أن الإرسال يعني التوجيه، والاسم الرِّسالة أو الرَّسالة. ثم تطور مفهومها وانطلق من المجال اللغوي ليدل على كل كلام يراسل به من بعيد .

أما صاحب (مختار الصِّحاح) فيقول: " راسَلَه مُراسَلَة فهو مُراسِلٌ ورَسيلٌ. وأَرْسَلَه في رسالة فهو مُرْسَلٌ و رَسولٌ، و الجمع رُسل (بتسكين السين وضمها)...والرسول أيضاً الرسالة... "

أما صاحب كتاب (نقد النثر) فيقول: " الترسُّل من تراسلت أترسَّلُ ترسُّلاً وأنا مترسِّل، ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، وراسَلَ يراسلُ مراسلةً فهو مُراسِل، وذلك إذا كان هو ومن يراسله اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك، أنه كلامٌ يُراسَل به، من بَعُدَ ومن غابَ، فاشتُق له اسم[الرسالة] الترسُّل والرسالة من ذلك".

وبحسب الوضع اللغوي يتضح لنا أنَّ الرسالة في مفهومها الأصلي هي: مجموع مشتقات مادة (رَسَلَ)، وهي تدور حول محور واحد هو التواصل بالقلم أو اللسان؛ والتواصل في جوهره، انتقال الرسالة من مُرْسِل إلى مُرْسَل إليه عن طريق واسطة وشخص مساعد يُدعى: رسول أو رسيل.

ب-اصطلاحًا: الرسائل في معناها الاصطلاحي ترتفع عما هي عليه في اللغة؛ وذلك لما يُضفى عليها من معاني جديدة تجعل لها أغراضًا متعددة.

والسبب في تنوع الرسائل هو كون "الرسائل هي جمع رسالة، والمراد بها أمور يرتبها الكاتب، من حكاية عدو أو صديق، أو مدح وتقريظ أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسُمِّيت رسائل من حيث أنَّ الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره، مخبرًا فيها بصورة الحال، مُفْتَتَحَةٌ بما تُفتتح به المكاتبات، ثمَّ تُوسع فيه فافتُتحت بالخطب وغيرها..."

وهي عند صاحب (جواهر الأدب) أوضح بيانًا حيث قال: "هي مخاطبة الغائب بلسان القلم...، مع تباعد البلاد، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب، والمكتوب إليه والنسبة بينهما..."

فالرسالة إذن هي: "ما يكتبه امرؤ إلى آخَر معبِّرًا عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطورًا محدودة، وينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنُّع أو تأنُّق، فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع..." .

وقد تدُلُّ هذه العبارة على المعنى النفسي للرسالة التي يبعث بها "إنسان إلى آخر، في غرض أغلب ما يكون محض شخصي، إلا أنَّ الرسائل الأدبية لم تنحصر يومًا في حيز هذا المفهوم الضيق، فهي مهمة يتمرَّس بها الأديب أو الفنّان من خلال الآثار التي يبدعها..." في مختلف الموضوعات الدنيوية.

ونتيجة لهذا المعنى تظهر الرسائل في صورٍ مختلفة، لعل أبرزها: الرسائل الديوانيَّة، والرسائل الإخوانيَّة.

وتعتبر الرسائل أحد فنون النثر التي انتشرت في العصر العباسي وبشكل كبير وهي أنواع:

أ-الرسائل الديوانية:

وتعد هذه الرسائل من أهم ما كتب في العصر العباسي لأنها مرتبطة بسياسة الخليفة وما يحتاجه من مراسلان مع الولاة والقادة، ويشترط فيمن يكون قيما أن تكون لديه خبرة واسعة في الكلمة وفي فهم التاريخ والدين والواقع، إذ إن من كان يستوزر برئيس للديوان كان يحظى بمنزلة رفيعة، ومن هنا كان معظم الوزراء من المقتدرين علميا وثقافيا وأدبيا ولغويا.

كانت تصدر عن ديوان الخليفة، ويُعنى فيها "بأمور الدولة وشؤونها السياسية؛ ولهذا يُحرص على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصبغة الرسمية، ومن هذا العهود والتقاليد والمناشير،... والدعوة إلى الطاعة والحثُّ على الجهاد.

والرسالة بهذه الصفة السياسية هي ما نجده في قول أبي هلال العسكري "أما الكتابة فعليها مدار السلطان.

فقد كان لكل خليفة أو مَلِك كاتبه الذي يتولى الكتابة عنه، في جميع المجالات الخاصة بتلك الرسائل، ومع ذلك فهذا النوع مهما بلغ في جودته الفنيَّة فإنه لا يخرج عن كونه متَّصلاً بحادث أو أمر عارض، وقلما تكون له صفة الدوام التي تهم الناس في كل زمان ومكان .

ونخلص من كل ذلك إلى أنَّ "الرسالة الرسمية هي ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطة، وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية والدنيوية ذات الشأن، كما أنها يجب أن تبتعد كل البعد في صياغتها عن الأساليب الشعرية، وهذا لإعطاء الكلام حقه .

أهم موضوعاتها:

لقد تناولت الرسائل الديوانية النقاط التالية:

1-أعمال الدولة.

2-البيعة للخلفاء.

3-الفتوح والجهاد.

4-تولية الولاة.

5-تعيين ولاة العهود.

6-مواسم الحج والأعياد.

7-أمور الرعية المنقولة إلى الخلفاء.

وأبرز من كتبوا في هذا الفن: عمارة بن حمزة، إسماعيل بن صبيح، محمد بن الليث.

وقد بلغت الرسالة الديوانية في عصر المأمون الذروة مركزة على:

1-العناية بالجمال الفني.

2-التدقيق في المعاني بشكل كبير.

يقول إسماعيل بن صبيح في رسالة باسم الخليفة الرشيد إلى الولاة بمبايعة الأمين والمأمون من العهد بعده وتعليق هذا العهد في بيت الله الحرام:" وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوامِّ المسلمين ما تولى الله من محمد وعبدالله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليه أعناقها، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة لقوام أمورهم، وصلاح دهائهم حتى ألقوا إليهما أزمتهم وأعطوها بيعتهم بالعهود ووكيد الأيمان المغلظة عليهم أراد الله فلم يكن له مرد، وأقضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته".

ب-الرسائل الإخوانية:

وهي الرسائل التي تصور عواطف الأفراد، وما يفعل في نفوسهم من رغبة ورهبة ومديح وهجاء وعتاب واعتذار كما في رسائل ابن المقفع" الأدب الكبير والأدب الصغير". وما جاء بهما من تصوير للأخوة والصداقة، كما في مناسبات الزواج والظفر على الأعداء وغير ذلك من الأمور، وقد تميزت هذه الرسائل بدقة التصوير للمعاني والتعبير عنها بأساليب جديدة.

يقول إبراهيم بن الهدي في رسالة يهنئ فيها المعتصم في انتصاره في عمورية:" الحمد لله الذي تم لأمير المؤمنين غزوته، فأذل بها رقاب المشركين وشفى بها صدور قوم مؤمنين، ثم سهل الله له الأوبة سالما غانما".

وهي صياغات تقوم بالتعبير عن عواطف المودة التي يتبادلها الأقارب والأصدقاء فيما بينهم. "وهذا النوع هو الأقرب إلى الأدب و إيحاءاته اللفظية والأسلوبية، وموضوعاته: الشكر، والتشوق، والعتاب، والتهنئة والشكوى والمدح والهجاء،... ويمكن أن يُلحق به الرسائل الوعظية والرسائل الدينية الجدلية..."ويُعتبر هذا النوع من الرسائل ميدانًا فسيحًا للإبداع، يتبارى فيه الكُتّاب والأدباء، ويتيحون لأقلامهم وقرائحهم أن تنطلق على سجيتها، وأن يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة، وأساليب قوية موشاة.

وأهم ما تجدر الإشارة إليه؛ أن أنواع الرسائل السابقة قد تأتي في صيغة الابتداء أو بمثابة رد عنها بحيث يُذكر فيه: "ما يدل على الوصول مثل لفظ: وصل كتاب أخي مخبرًا بكذا وكذا..." أو "وصل كتابك" ويحسن في أول الرسالة الجوابية" .

وأهم ما تتميز به أجوبة المكاتبات المغربية "أن يُفتتح الجواب بما يُفتتح به الابتداء، ثم التعرض إلى أصول الكتاب وذكر الجواب عنه... ، بحيث يتبعها في المضمون والمعنى.

ومما سبق عرضه نخلص إلى أنَّ للرسائل أهمية كبرى، ودورًا عظيمًا، يتجلَّى في خدمة المصالح الخاصة والعامة للأمة؛ لأنّ الترسل أساس الدولة "فهو مبني على مصالح الأمة، وقوام الرعية، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك، وسَراة الناس في مهمات الدين، وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم... وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء، ولا يأخذها الحصر...".

وهكذا فقد تحدَّث العسكري عن الكتابة ودورها كجنس من أجناس الكلام إلى جانب أجناسه الأخرى، كالخطابة والشعر "ومما يُعرف أيضًا من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان، وعليهما مدار الدار، وليس للشعر بهما اختصاص".

ومن كل ما سبق يتبين لنا أهمية الكتابة في خدمة الأمة، وقد كانت من أهم الصناعات التي كان يحرص على إتقانها طلاب العلم قديمًا، وبخاصة في المغرب والأندلس، وهو ما حدا بابن خلدون أن يكون له اهتمام كبير بهذا الجنس الأدبي المهم.

وهو نظرًا لإدراكه أهمية هذا الضرب، ضمَّن سيرته الذاتية رسالتين تنتميان إلى النوع الإخواني، جاءتا بصيغة(جوابية) وهي موجَّهة إلى صديقه (ابن الخطيب).

وقد اختار الباحث نصًّا واحدًا ليكون محلاً للدراسة؛ للوقوف على بنيته، وما فيه من دلالة.

الرسائل الإخوانية في العصر العباسي:

بعد الحديث عن النّثر وأنّ الرسائل الإخوانية في العصر العباسي جزءًا منه، لابدّ من التّعرّف على هذا النّوع من النّثر وهو الرسائل الإخوانية في العصر العباسي، يصوّر لنا هذا النّوع من النّثر العلاقات الاجتماعيّة بين الكاتب وسيّده أو بينه وبين صديقه أو صاحبه أو معشوقته، ولها مواضيع عدّة كطلب الزّيارة أو الشّكر أو التّهنئة أو التّعزية وغير ذلك من المواضيع، التي تربط النّاس بعضهم ببعض، فيظهر في هذه الرّسائل شعور الكاتب تجاه المرسل إليه، وقد تطوّرت في هذا العصر تطوّرًا واضحًا، بسبب تطوّر أمور الدّولة وتعقيدها، ولذلك أصبحت الرّسائل تحتاج إلى الشّرح المطوّل، ولم تعد الكتابة وقفًا على العرب الفصحاء، فأصبح المجتمع خليطًا من الأمم العربيّة والأعجميّة، وأصبحت الأمّة تجيد القراءة والكتابة، فلم يعد هناك صعوبة لدى الكاتب، وأيضًا توفّر الورق والحبر، كلّ ذلك يساعد على تزايد الكتابة وعلى تطوّرها وشيوعها، وأصبح الخليفة له كتّابًا مهرة، فلا حاجة لأن يكتب أو يملي على الكتبة، كلّ ما يطلب منه تحديد الموضوع والجهة التي سترسل إليه الرّسالة، فلذلك أصبح هناك منافسة بين الكتّاب على

الإبداع في رسائلهم، ومنهم من أصبح من الأدباء كابن المقفّع، فعلى قدر براعة الكاتب يرضى عنه أسياده وتفوح شهرته.

ومن ميزات الرسائل الإخوانية في العصر العباسي استخدام نعوت التّبجيل والتّعظيم وعبارات المجاملة والبساطة ومراعاة التناسب بين الموضوع والألفاظ، ومن أمثلة ذلك رسالة ابن الورديّ في رثاء العالم الفقيه، الإمام هبة الله بن عبد الرّحيم البارزي الشّافعي المتوفّى سنة 738هـ، وقد كتب بها الى ابنه القاضي نجم الدّين عبد الرحيم : "وينهي أنّه بلغ المملوك وفاة الحبر الرّاسخ، بل انهداد الطّور الشّامخ، وزوال الجبل الباذخ، الذي بكته السّماء والأرض، وقابلت فيه المكروه بالنّدبِ، وذلك فرض، فشرّقت أجفان المملوك بالدّموع، واحترق قلبه بين الضّلوع، وساواه في الحزن الصّادر والوارد، واجتمعت القلوب لما تمّ لمأتم واحد، فالعلوم تبكيه، والمحاسن تعزّي فيه..".

شواهد على الرسائل الإخوانية:

كما سبق ذكره حول الرّسائل الإخوانية في العصر العباسي، فقد كانت ترسل بغرض التّعزية أو التّهنئة، أو طلب الودّ والتقرّب من صاحب منزلة أو حبيب، أو العتاب أوغير ذلك من أغراض الرسائل الإخوانيّة الأخرى، ومن أمثلة ذلك ما يأتي.

رسالة يحيى البرمكي إلى هارون الرشيد كانت هذه الرسالة عندما سجن الرشيد يحيى البرمكي، يقول فيها: "من شخصٍ أسلمتْه ذنوبُه وأوثقتْه عيوبُه، وخذلَه شقيقُه، ورفضَه صديقُه، ومالَ به الزّمانُ، ونزلَ به الحدثانُ، فحلّ في الضّيقِ بعد السّعةِ، وعالجَ البؤسَ بعد الدّعةِ، وافترشَ السّخطَ بعد الرّضا، واكتحلَ السّهاد بعد الهجودِ، ساعتُه شهرٌ، وليلتُه دهرٌ، قدعاينَ الموتَ، وشارفَ الفوتَ، جزعًا لموجدتِك يا أميرَ المؤمنينَ وأسفا على ما فاتَ من قربِك".

من رسائل الاعتذار ما كتبه عبد الله بن عليّ إلى يوسف بن عليّ، يعتذر عن تأخّر عطائه له في بداية كلّ شهر، وقد كان يبرّه كثيرًا، فغفل عنه شهرين، فكتب إليه، فاعتذر ابن عليّ بقوله: "لم يكنْ تأخير برّنا عنك لبُخلٍ وضنّ، ولا إهمال وتناسٍ، لكنّها غفلةٌ من موجبٍ لحقّكَ عارف، شغلَهُ عنك ما يُقسِّمُ قلبه، ومتَّكِلًا على معرفتك به، وبسطِ عُذركَ لهُ"، فالرّسالة تدلّ على حسنِ أخلاق الكاتب، فهو المنعم المتفضّل ومعَ ذلك يعتذرُ عن تأخّر برّه وإنعامه.

تماثل حالة النثر في الأندلس حالته في المشرق إلى حد بعيد. فالتأثير الفكري والفني بين الأندلس والمشرق كان متبادلاً. وكانت رحلة العلماء والأدباء ضرورة علمية يُحرص عليها. ومن ثم اتفق المشرق والأندلس في طبيعة الموضوعات والأساليب فعرف الأندلس طريقة الجاحظ في الكتابة، وبديع الزمان الهمذاني والحريري في المقامات، وابن العميد والقاضي الفاضل في الترسل. ونحاول في إيجاز التَّعريف بأهم الفنون النثرية التي راجت في الأدب الأندلسي.

احتاجت الدولة الأندلسية إلى هذا اللون من الرسائل الذي عُني بالمضامين السياسية والإدارية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية وما إليها من مهام تتطلبها الدولة وهي تصدر من ديوان الحكم،

يكتبها الحاكم بنفسه أو يكتبها عنه كاتبه، وتمثل المنشورات الرسمية التي ترسم سياسة الدولة ومن هنا كانت مادتها تشمل مختلف أمور الدولة ونظمها.

وهي عندما تصدر عن الكتاب المحترفين تتخذ أسلوبًا لا يخلو من الصنعة والتأنق والمحسنات، أما عندما يكتبها الأمراء أنفسهم فتكون عادة مباشرة تخلو من الزخرفة والصنعة.

وتُعد العهود من باب الرسائل الديوانية. وقد برع ابن برد الأكبر في هذا اللّون من الترسل، وبلغ عددٌ من كتاب الأندلس ذروة فنية بسبب هذا اللون من الرسائل. وكان التنافس بينهم حادًا. كما كان الأمراء يحرصون على أن يكون في بلاطهم أهل البلاغة والفصاحة من الكُتَّاب. وعلى كلٍّ فقد كانت الرسائل الديوانية من أوسع أغراض النثر في الأندلس، وأدت ببعض الكتاب ممن عرفوا بذوي الوزارتين، إلى تسنم مرتبة الوزارة والحكم.

والرسائل الإخوانية هي ذلك اللون المتبادل بين الكتاب بعيدًا عن الطابع الرسمي، أو يعالج أغراضًا تحمل الطابع الذاتي من تهنئة وتعزية وشكر واعتذار وعتاب وما إلى ذلك من العلاقات الاجتماعية بين الإخوان. وهي تعكس جانبًا من الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية في الأندلس. وقد حفل كتاب الذخيرة بطائفة منها وهي لا تختلف كثيرًا عن نمط رصيفتها في المشرق.

أما الرسالة الأدبية هي ذلك اللون من الترسل الذي يؤدي موضوعات كانت من قبلُ وقفًا على الشعر. وأسلوبها لا يخلو من سخرية أو وصف أو عاطفة، كما ينقل إلى النثر أهم أدوات الشعر من خيال وتصوير. هذه الرسائل تحتوي على نظرات في الحياة والأحياء وحكم عن النفس وموقف من المجتمع.

وتُعد رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، بما فيها من خيط قصصي، من أهم الرسائل الأدبية في الأندلس. وكذلك رسالتا ابن زيدون الرسالة الجدية والرسالة الهزلية، ثم رسالة ابن برد الأصغر البديعة في تفضيل أُهُب الشاة.

هذا اللون من الرسائل جاء متأثرًا برسالة الجاحظ التربيع والتدوير، وكذلك بكتابه البخلاء حيث يضفي على الموضوع اليسير روحًا من الجد والوقار.

إن اهتمام الباحثين بالتراث الشعري خلال الحكم الإسلامي لا زال يحتل الأولوية في الدراسات الفكرية والأدبية، وأن معظم من كتب عن النثر الفني في الأندلس إلا واقتصر على فترة معينة لا تتجاوز القرنين، من هنا فضلت أن يكون بحثي جامعا لكل الفترات (92هـ-897هـ) أي ما يقارب ثمان قرون ليكون حلقة من حلقات النثر الفني يتسنى لنا من خلاله إعطاء صورة واضحة عن معالم الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ولم يكن بالإمكان الفصل بين العدوتين لما يربطهما من علاقات إدارية وسياسة وتأثير فكري وحضاري.

وقد وجدنا أيضا أن الرسالة الديوانية في العدوتين كانت وسيلة إعلامية في تثبيت دعائم حكم الأمراء والسادة والخلفاء وهي بذلك أقدم وثيقة يمكن الاعتماد عليها لاستجلاء الحياة السياسية والاجتماعية

والثقافية لهذه الفترة، لذا كان لزاما علينا أن نلقي الضوء على مختلف الأحداث التاريخية لما لها من الأثر البين في سياسة الدولة، ومناهج الحكم فيها، والتي تنشأ بموجها الكتب الديوانية.

للتذكير فإنه يطلق على الرسائل الديوانية " السلطانية " وهي التي تصدر من ديوان الخليفة ويوجهها إلى الولاة والعمال وقادة الجيوش وأحيانًا إلى الأعداء(ترهيبًا). ومثال ذلك رسالة لأبي حفص بن برد الأصغر على لسان من كان يكتب له من العامريين ، موجهة لقوم طلبوا الأمان من مولاه:

" أما بعد، فإنكم سألتم الأمان أوان تلمظت السيوف إليكم ، وحامت المنايا عليكم، وهمت حظائر الخذلان أن تفرج لنا عنكم ، وأيدي العصيان أن تتحفنا بكم ..ولو كِلنا لكم بصاعكم ، ولم نرعَ فيكم ذمة اصطناعكم ، لضاق عنكم ملبس الغفران، ولم ينسدل عليكم ستر الأمان، ولكنا علمنا أن كهولكم الخُلوف عنكم، وذوي أسنانكم المعاصين لكم، ممن يهاب وسمَ الخلعان، ويخاف سطو السلطان....."

ويشير إلى أن أسلوب الرسائل الديوانية لا يسير على وتيرة واحدة ، ولا يلتزم نمطًا واحدًا ، بل يتفاوت بتفاوت الأغراض وما تقتضيه الأحوال.

ثم يتطرق الكاتب إلى النوع الآخر وهي الرسائل الإخوانية وهي التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء وغيرها.

ولها 17 نوعًا : التهاني، والتعازي، والتهادي، والشفاعات، والتشوق، والاستزارة، واختطاب المودة، وخِطبة النساء، والاستعطاف، والاعتذار، والشكوى، واستماحة الحوائج، والشكر، والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، والمداعبة، ويندرج تحت بعض هذه الأنواع أنواع أخرى كثيرة.

ومثال ذلك: رسالة الوزير لسان الدين بن الخطيب بعثها إلى صديقه ابن خلدون واستهلها بأبيات ثم هذه الرسالة:

"أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج، وأما الصبر فسل به أية درج، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج، وأني بالصبر، على إبر الدبر. بل الضرب الهبر. ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر. عن إنسانها المبصر، أو تذهل ذهول الزاهد. عن سرها الرائي والمشاهد. وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت، وإذا كان الفراق هو الحمام الأول. فعلام المعول، أعيت مراوضة الفراق على الراق، وكادت لوعة الاشتياق، أن تفضي إلى السياق"